العرب
السبت 2021/11/06
السنة 44 العدد 12232

«مقام إبراهيم وصفية».. أسطورة عشق خالدة ثمنها الحياة

طرح مسرحي سوري معاصر للصراع المتكرّر بين الفكر المتشدّد والنيّر

تقدّم بعض المسرحيات مقولات تصلح للعرض على امتداد سنوات وأجيال، بحيث يمكن استعادتها في كل حين. ومسرحية "مقام إبراهيم وصفية" التي كتبها الأديب وليد إخلاصي منذ عقود، واحدة من الآثار التي قُدّمت مرارا على المسارح السورية من خلال فرق فنية محترفة وهاوية. وفي محاولة جديدة يقدّمها المسرح القومي في سوريا عبر تناول أعدّه الفنان زيناتي قدسية استعرض فيه طروحات معاصرة عن الحب والمجتمع.

صدام الخير والشر

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – يقدّم المسرح القومي في سوريا في عرض متجدّد مسرحية "مقام إبراهيم وصفية" التي كتبها وليد إخلاصي منذ عقود وسبق وأن قُدّمت مرارا على خشبات المسرح السوري والعربي. كانت أولاها عام 1996 من إخراج محمد طيلون، كما قُدّمت في الدراما التلفزيونية السورية من خلال مسلسل كتبه محمد أبومعتوق وأخرجه فهد ميري عام 2008. وهي أحد أهم الآثار الأدبية التي كتبها وليد إخلاصي.

يدخل نص "مقام إبراهيم وصفية" منطقة شديدة الوعورة، وهي السجال والصراع القائم بين الفكر المتشدّد والفكر النيّر من خلال قصة حب بين شاب يتيم "إبراهيم" و"صفية" ابنة شيخ الحي وصاحب الفكر النيّر.

شهيدا الحب

إبراهيم جاء إلى الحي يتيما مشرّدا يبحث عن مأوى يضمه، فلاقى عند أهل الحي السكن والمحبة، وعمل أجيرا عند الفران. وفي الحي فتاة تضجّ جمالا وأنوثة اسمها صفية وهي ابنة الشيخ صالح إمام الحي.

تنشأ بين الشاب والفتاة علاقة حب صادقة، لكن خشية أن يعلم أهل الحي بعلاقتهما كانا يلتقيان خلسة عند المقام، وذات يوم يعلم أحد زوّار المقام بقصتهما وهو مرزوق الشخص البسيط الساذج صاحب الفكاهة والدعابة.

وفي حدث متواتر، يعود شخصان من رحلة الحج، وهما أبوالروس زعيم الحي، وأبوالكيف تاجر المخدرات والخارج عن القانون. ويفصح أبوالروس عن نيّته الزواج بامرأة رابعة وهي صفية، لكن رغبته تلك تصطدم برغبة أبوالكيف لكي تكون صفية زوجته الثانية، ليبدأ الصراع العلني بينهما والذي يحل أخيرا بإجراء قرعة بينهما حيث يربح أبوالروس.

يتجه الأخير إلى الشيخ صالح ويطلب يد ابنته للزواج، لكن الشيخ المستنير يرفض طلبه، لأن الفتاة صغيرة وهو ممّن لا يحبّذ زواج ابنته من رجل متزوّج، فيغضب أبوالروس ويصرّ على الانتقام.

وفي تقاطع في الأحداث، يخبر مرزوق أبوالروس بحقيقة علاقة صفية وإبراهيم، ويقرّر أبوالروس استغلال الفرصة ليفضح أمرهما. ويحدث ما لم يكن في الحسبان، إذ تتحالف قوى الشرّ التي كانت متصارعة في ما بينها أبوالروس وأبوالكيف ضامة إليهما قوة الأمن وهو رجل الشرطة وكذلك مختار الحي، ليحاكموا الشيخ صالح وابنته على الجريمة الأخلاقية المختلقة التي اقترفتها ابنته، حسب زعمهم.

وتتم المواجهة، فيرفض الشيخ التهمة، لكن الشاهد الملك وهو مرزوق موجود ويخبر الشيخ بالحقيقة. تسمع الفتاة التهم فتخرج على القوم كاشفة كل الأمر وأنها تحب إبراهيم فعلا، لكنهما لم يتجاوزا حدود الصواب وهو يُزمع طلب الزواج منها من أبيها.

تُلزم الحجة الشيخ صالح ويندفع تحت ضغط المجتمع لمحاسبة ابنته صفية التي تقدّم نفسها فداء له لو كانت مخطئة، يمسك الوالد بالسكين ويهمّ بذبحها لولا تدخل إبراهيم الذي يفديها بنفسه. ويقع الشيخ في حيرة من أمره، ويصارحه إبراهيم بحبه لصفية حبا حلالا ويريدها زوجة له. تغلب عاطفة الأب وفكره المستنير، فيقرّر تزويجهما في ذات الليلة ويذهب لإعداد الأمر.

في الأثناء يكون أحد العسس من جماعة أبوالروس قد علم بالمسألة نتيجة مراقبته الأمر خلسة وينقل له الخبر، فيقرّر الانتقام بنفسه، ويدفع طغاته لكي يحاصروا المقام الذي اختبأ فيه إبراهيم وصفية، ويطلقون النار عليهما فيموتان داخل المقام شهيدي الحب الطاهر.

توليفة عصرية

يقدّم العرض في مقولته النهائية ما هو أبعد من قصة الحب التي جمعت بين شاب وفتاة، فالعرض قدّم تشريحا واقعيا حياتيا عن مجتمع تسوده حالة تلاقي المصالح بين المال والسلطة وكهنوت رجال الدين، والتي تفرز في المجتمع شرا يحيط بكل من يقف في وجه مطامحها.

ففي العرض تلاقت مصالح الضدّين أبوالروس زعيم الحي صاحب السلطة وأبوالكيف تاجر المخدرات ورجل الشرطة الذي دبّر لإبراهيم تهمة حيازة المخدرات ومختار الحي الذي هو صدى صوت هؤلاء جميعا. وضمن هذه الشرطية قدّم العرض إسقاطا بشكل أو بآخر مع واقع معيش وعصري يمكن أن يكون موجودا في العديد من البلدان. فهناك المتشدّدون الذين لا يتورّعون عن قتل أي مخالف في الرأي، ويتحالف معهم المال وتجار المخدرات الذين ينشطون في هذه الحقبة، ويشكّلون قوى اجتماعية تعيث فسادا في المجتمعات التي تكون فيها.

وفي العرض قراءة لما يولّده تحالف قوى الشر من أضرار على الناس ليس في قصص الحب التي يعيشونها فحسب، بل حتى في شؤون حياتهم العادية، حيث يسود الظلم وسطوة الشر ويغيب السلام في حياة الناس.

> العرض قدّم تشريحا واقعيا عن مجتمع تسوده حالة تلاقي المصالح بين المال والسلطة وكهنوت رجال الدين

ومن الشخصيات الإشكالية التي قدّمها العرض شخصية مرزوق، والتي أدّاها مخرج العمل زيناتي قدسية بما تحمله من قيم إنسانية واجتماعية. فبقدر ما تحمله الشخصية من بساطة وسذاجة وقدرة على طرح الطرافة في المجالس، فإنها تحمل في الوقت عينه مخاطر على حياتها ومجتمعها عموما، لإمكانية استغلالها من قبل قوى الشر في الوصول إلى مآرب دفينة.

شخصية مرزوق كانت محورية في سياق العمل ومحركا لأحداثه، فمنها عرف أبوالروس قصة حب إبراهيم لصفية، وهي الشخصية التي دفعت ثمن موقفها الصادق من الشيخ صالح الذي تعارض مع موقف قوى الشر لاحقا. وكأن هذه الشخصية تمثل معادلا لشرائح عريضة من الناس في كل المجتمعات البسيطة التي يسكنها التخلف، بحيث تكون بعفويتها وبساطتها سببا في بؤسها وشقائها.

والعرض الذي قدّم على المسرح القومي بدمشق من تأليف وليد إخلاصي وإعداد وإخراج زيناتي قدسية، وتمثيل كل من محمود خليلي ويوسف المقبل وجمال نصار وصفاء رقماني وقصي قدسية ويوشع محمود وسامر الجندي وعلاء الشيخ، إضافة إلى زيناتي قدسية في دور مرزوق.

وحفل التراث العربي بالعديد من حالات الحب التي تخلّد قصصا ظلت متناقلة جيلا عبر آخر. ففي الشعر العربي ظهرت قصة حب شهيرة بين قيس بن الملوح وليلى العامرية، ولم يسمح والد ليلى بزواجهما ممّا أصاب قيس بالجنون، فسمي بمجنون ليلى وعاش شريدا وألّفت عنه العديد من الآثار الأدبية.

كذلك كان هنالك جميل بن معمر الملقب بجميل بثينة الذي فتن بفتاة في قبيلته هي بثينة بنت حيان بن ثعلبة، لكنه منع من الزواج منها، وقال فيها كثيرا من الشعر. وكذلك عرفت قصة حب لشاعر كبير هو كثير بن كثير بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي الذي أحب عزة حبا شديدا ومنع من الزواج منها. لكنه ظل وفيا لحبه وهائما بها حتى بعد زواجها من غيره، فما كان منه بعد علمه بزواجها وارتحالها إلى مصر إلاّ أن رحل وراءها وعاش في مصر على مقربة منها حينا من الزمن.

مهرجان شرم الشيخ يحتفي بتجربتي العراق وتونس المسرحية

القاهرة – تنطلق السبت بمدينة شرم الشيخ المصرية فعاليات الدورة السادسة من مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي بمشاركة ست وثلاثين دولة من مختلف قارات العالم.

فعاليات الدورة السادسة من مهرجان شرم الشيخ للمسرح الشبابي تشهد مشاركة ست وثلاثين دولة عالمية

ويكرّم المهرجان خلال دورته الحالية تسع شخصيات مسرحية ما بين مصرية وعربية ودولية، حيث سيكرّم القائمون على المهرجان خلال حفل الافتتاح الفنانة المسرحية المصرية سميحة أيوب، كما سيتمّ تكريم الفنان الكويتي داوود حسين، والإماراتي محمد سيف الأفخم باعتباره الشخصية المسرحية العربية، وكذلك البلجيكي مارك بيسون باعتباره الشخصية المسرحية الدولية.

وأكّدت ندا إبراهيم رئيس لجنة التنسيق والمتابعة بمهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي، أن المهرجان في دورته السادسة استحدث أياما احتفالية واحتفائية بمسيرة ورموز عدد من الدول العربية من بينها تونس والعراق، حيث من المزمع الاحتفاء في التاسع من نوفمبر الجاري برموز الفن العراقي، ليقع تكريم كل من الفنانة آسيا كمال والفنان رائد محسن، وذلك بالتعاون مع جبار جودي نقيب الفنانين العراقيين الذي سيقيم ندوة فكرية عن التجربة المسرحية العراقية.

كما سيكرّم المهرجان خلال فعالياته التي تستمرّ حتى الحادي عشر من نوفمبر الجاري المخرج المسرحي التونسي الراحل عزالدين قنون، وسيتضمّن الاحتفاء ندوة عن مسيرة المسرح التونسي.

ويُعتبر قنون (الخامس من يناير 1953 – التاسع والعشرون من مارس 2015) أحد المخرجين البارزين في عالم الفن الرابع في تونس بفضل أعماله الفنية الناجحة، وقد حاز على الإجازة في الدراسات المسرحية من جامعة السوربون عام 1980، وبعد سنة أسس فرقة "المسرح العضوي".

وفي العام 1985 قام بتحويل صالة قديمة للسينما كانت متداعية إلى منبع للفنون المسرحية حملت اسم مسرح "الحمراء" تتولى الإشراف عليه حاليا ابنته سيرين قنون.

وكتب قنون وأخرج عددا من الأعمال المسرحية أبرزها "المصعد" عام 1994، و"طيور الليل" عام 1996، و"حب في الخريف" عام 1997، و"نواصي" عام 2000 و"غيلان" عام 2012.

مهرجان الأردن المسرحي يطلق اسم الفنان الراحل جميل عواد على دورته الجديدة

عمّان – بالتعاون بين وزارة الثقافة ونقابة الفنانين الأردنيين انطلق مساء الخميس مهرجان الأردن المسرحي في دورته الثامنة والعشرين على مسرح المركز الثقافي الملكي بالعاصمة عمّان، بمشاركة عروض من تونس وسوريا والعراق والإمارات والأردن.

وتحمل الدورة اسم الممثل والمؤلف والمخرج جميل عواد الذي توفي في الثامن والعشرين من أكتوبر الماضي عن عمر ناهز الأربعة وثمانين عاما "وفاء لذكراه وتخليدا لمنجزه الكبير وإرثه الفني".

وولد عواد في عمّان عام 1937 وقد اشتهر بأدوار الحزم والشدة، درس هندسة الديكور وعمل رئيسا لقسم الفنون التشكيلية في قسم الثقافة وفنون عام 1964، كما عمل في التلفزيون الأردني عند افتتاحه عام 1968 ثم غادر عمّان ليعود عام 1974 ويخرج أول مسرحية له والتي حملت عنوان "الغائب"، وقدّم خلال مسيرته الفنية الممتدة لأكثر من أربعة عقود مئتي مسلسل تلفزيوني وسبعة أفلام سينمائية.

وكرّم المهرجان في حفل الافتتاح الممثل الأردني حابس حسين ومواطنه المخرج عبداللطيف شما عن مجمل إنجازاتهما في تنمية وتطوير المسرح الأردني.

وقال الأمين العام لوزارة الثقافة الأردنية هزاع البراري في كلمته "هذه عمّان هذا المساء تزدهي بهذه النجوم من المبدعين، تعود الحياة للمسرح وللمسرحيين".

وأضاف "هذا ليس مجرد مهرجان للعروض المسرحية، هناك حالة فكرية وثقافية، ندوات وتعقيب وحوارات على الهامش، مستمرة ومتواصلة".

«البيت».. للعراقيين وإن اختلفوا

وعقب انتهاء مراسم الحفل عرض المهرجان المسرحية الأردنية "طيور الأبابيل" من تأليف إياد هاني الريموني وإخراج فراس الريموني وبطولة منذر خليل ومحمود الزغول وعبدالله خليل ووفاء عيسى وصبحي صبح وتسنيم هاشم.

ويشارك الأردن في المهرجان الممتّد حتى الرابع عشر من نوفمبر الجاري بمجموعة من العروض الجديدة منها "صناديق" للمخرج عصمت فاروق، و"الروح الأبدية" للمخرج كرم الزواهرة، و"ستغسل يا نهر الأردن" للمخرج حكيم حرب، و"حدث في الجنة" للمخرج زيد خليل مصطفى و"مدرقة" لعمر الضمور.

وإلى جانب العروض الأردنية تحضر من سوريا "المنديل" لبسام حميدي، و"الروبة" لحمادي الوهايبي من تونس، و"ليلة مقتل العنكبوت" لإلهام محمد غلوم من الإمارات وأخيرا "ذا هوم" (البيت) لغانم حميد من العراق، وهي مسرحية تدين الإرهاب بكل أشكاله، وتمنح القدسية إلى الإنسان باعتباره قيمة عليا.

وتناقش ضعف الفرد أمام الضغوط الكبيرة التي يتعرّض لها في الحياة بسبب الإرهاب، فيضطر في لحظة ضعف للقيام بأفعال لا يؤمن بها مساوما على مبادئه وأخلاقه، لكنه في النهاية يتمرّد على نفسه ويواجه الإرهاب بكل قوة وعزيمة حاملا سيفه للدفاع مجدّدا عن مبادئه السامية.

ويشمل برنامج المهرجان الذي تنظمه "مديرية المسرح والفنون البصرية" بالتعاون مع "نقابة الفنّانين الأردنيّين" ندوات تقييمية للعروض المشاركة وندوة فكرية بعنوان "مسرح ما بعد الدراما" يديرها الناقد عمر نقرش، وورشتي عمل حول "تحريك الدمى" يقدّمها كريم دكروب من لبنان و"تقنيات الإخراج وإدارة الممثل" للمخرج هشام شكيب من المغرب.

ويقتصر حضور العروض واللقاءات التفاعلية على المسجلين بتطبيق "سند أخضر" للمحصّنين بلقاح كورونا مع الالتزام بنسبة إشغال للمسارح في حدود الخمسين في المئة.

المهرجان يشهد في دورته الجديدة عرض عشرة أعمال مسرحية من الأردن وتونس وسوريا والإمارات والعراق